الوطنية ، والممارسة الشرسة لعمليات قمع هذه الحركة . واختياره هو بالذات تعبير عن فهم جماهيرنا ووعيها للدور الذي كان يلعبه ، والخطورة التي كان يمثلها . دون ان يجرنا ذلك الى ان نغفل ولو للحظة واحدة عن طبيعة المعركة الدائرة بين الحركة الجماهيرية وبين النظام الاردني ، اذ يبقى الاصل في المشكلة ، النظام الاردني نفسه ، وما هو يجب ان تنشد اليه الانظار باستمرار .

وما تجدر الاشارة اليه هنا ان مقتل وصفي التل ليس عملا ينتهي بانتهاء الرجل ، فمن المؤكد ان سلسلة مخططات معادية سوف تنبثق بسرعة كنوع من الرد ، في بداية هذه السلسلة تأتي التوقعات المؤكدة لتوجه النظام الاردني نحو تسعير النزعة الاقليمية ، في محاولة للزج بكل ما هو اردني ضد كل ما هو فلسطيني ، في محاولة لتمويه الحقائق ، واخفاء المصالح المشتركة التي تدفع القطاعات المناضلة الفلسطينية والاردنية على حد سواء ، الى مواجهة خصم واحد . وفي هذا النطاق لن يتورع النظام عن القيام بعملية اغتيالات معاكسة، كما أنه لن يتورع عن الانتقام من المناضلين العاملين في سجون الاردن ، كذلك تأتي في مقدمة هذه السلسلة أيضا المساعي التي ستبذلها القوى الرجعية المضادة لفرض سياسة الترويض على الحركة الجماهيرية الفلسطينية ، بعد ان منعت هذه الطاقة من التوجه نحو قضيتها الاساسية ، وبعد أن فشلت محاولات ايجاد منفذ لها في وساطة جدة .

على ضوء هذه الامور . على ضوء فهمها بشكل صريح ، ومواجهتها بجرأة ، يمكن ان ننتقل الى شرح مجمل السياسات التي كان التل رمزا وتجسيدا لها .

وصفي التل كما عرفته الجماهير

عاش وصفي التل وتربى منذ أن ولد في قرية الصريح الاردنية قرب اربد عام ١٩٢٠ في بيئة تسيطر عليها الافكار الاقليمية الانعزالية المتطرفة . فقد كان والده مصطفى وهبه التل شاعرا معروفا بقصائده الاقليمية . ومنذ اوائل العشرينات وحتى الثلاثينات ، عمل ابوه على تغذية هذه النزعة سواء بأشعاره او باتصالاته التحريضية المعادية لكل ما هو عربي عامة وفلسطيني خاصة . في وقت كانت فيه فكرة الوحدة العربية تسيطر على الحركة النضالية ، وكانت فكرة سوريا الكبرى مطلبا جماهيريا واسعا وبسبب طموح الامير عبدالله لكسب موقع هام داخل هذه الوحدة ، قام باعتقال مصطفى وهبه التل اكثر من مرة معتبرا نزعته الاقليمية الاردنية عاملا مشوشا على طموحه . الا أن هذه النزعة انغرست في نفس وصفي التل منذ أن كان طفلا ، ولازمته بعد ذلك طويلا وكانت عاملا أساسيا في تكوينه الفكري وسياساته العملية .

اما العامل الثاني الذي شكل وصاغ نفسية وصفي التل واتجاهاته الفكرية فهو علاقاته الوثيقة مع بريطانيا . وقد سارت هذه العلاقة في صعود مضطرد ويمكن ايجاز مراحلها بما يلي : ١ — في عام ١٩٤٢ التحق وصفي التل بالكلية العسكرية البريطانية في « صرفند » وتخرج منها برتبة ملازم في الجيش البريطاني وقد كان زميلا له في نفس الدورة الجنرال باراليف . ٢ — خدم بعد ذلك في الاستخبارات العسكرية البريطانية التابعة للجيش الثامن وكان مقرها الرئيسي في القاهرة . ٣ — اثناء عمله في المخابرات البريطانية كان مقربا جدا من الجنرال « كلايتون » رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط آنذاك ، واحد الذين كانوا يرسمون سياسة بريطانية الاستعمارية في المنطقة .

٤ — بعد انتهاء الحرب انتهى الارتباط العسكري لوصفي التل ببريطانية وبدأ ارتباطه بمخططها السياسي وتمثل ذلك الارتباط في ذلك الوقت بقضيتين : الاولى : عمله في المكتب العربي في لندن وواشنطن ، وهو المكتب الذي كانت ترعاه وتموله السلطة العراقية المعروفة بولائها البريطاني الكامل . والثانية : تبنيه للمشروع البريطاني للوحدة العربية الذي كانت بريطانيا تسعى لتنفيذه ليكون تحت سيطرة التاج العراقي وبالتالي تحت النفوذ البريطاني المباشر .

ومن خلال هذين العاملين ، النزعة الاقليمية الاردنية والارتباط بالسياسة البريطانية ، نستطيع ان نفهم كافة مواقف وصفي التل السياسية وأول هذه المواقف الجديرة بالتسجيل دوره في جيش الانقاذ الذي كان يقوده « فوزي القاوقجي » عام ١٩٤٨ . فبعد فترة قصيرة من الالتحاق بهذا الجيش نقل وصفي التل من مركزه كضابط في دائرة العمليات الى قيادة الفوج الاردني في منطقة الجليل واعتبر هذا النقل في ذلك الوقت قضية ادارية بحتة . ولكن الغاية الحقيقية منه تكشفت بعد سقوط الجليل بيد الاسرائيليين وانتقال جيش